من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة

دكتور
حسن عبد الرءوف محمد البدوي
المدرس بقسم الدعوة

من هدى النبى صلى الله عليه وسلم
فى تبليغ الدعوة

بقلم الدكتور

حسن عبد الرءوف محمد البدوى

المدرس بقسم الدعوة بالكلية

تقديم :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين :

وبعد :

فهذه لمحات من هديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ دعوة ربه دعوة الحق لهداية الخلق والتى قام بتبليغها صلى الله عليه وسلم خير قيام فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وطهرهم من أدران نفوسهم وعرفهم بخالقهم المستحق للعبادة وحده ، نذكر هذه اللمحات من هديه لنقتدى به ونتأسى به وننهج نهجه فى تبليغ الدعوة ولتكون نبراسا للدعاة فى دعوتهم ، فاتباعه

صلى الله عليه وسلم وإمتثال سنته والإقتداء به وبهديه أمر واجب[1] يقول تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[2] ويقول تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »[3] .

وبالله التوفيق

(١) انظر . الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض جـ ٢ ص ٥٤٦ بتحقيق على محمد البجاوى طبعة عيسى الحلبى .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ . (٣) سورة آل عمران آية ٣١ .

أولا : من هديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة

الدعوة بالحكمة

لقد أمر الله عز وجل حبيبه ومصطفاه أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة فقال سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...)[1] .

والحكمة هى الأساس المتين والمنهج السليم لتبليغ هذه الدعوة وهى التى أدت إلى ذيوع الإسلام وانتشاره وقد امتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه ودعا إلى الإسلام بالحكمة .

المراد بالحكمة فى مجال تبليغ الدعوة :

قيل إن المراد بالحكمة فى مجال الدعوة أن يكون الداعية واعيا لدعوته فاهما لمقصده ملما بأفضل الطرق المؤدية إلى الغرض على خير وجه وبالقواعد التى تلزم لأنماط المدعوين وطوائفهم[2] .

وقيل إنها تعنى أيضا النظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم بالقدر الذى يبينه لهم الداعية فى كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفس لها والطريقة التى يخاطبهم بها والتنويع فى هـذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والإندفاع والغيرة فيجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه[3] .

فهى أسلوب دقيق متفق فى الدعوة يفيد اليقين .

(١) النحل من الآية ١٢٥ .
(٢) انظر منهج القرآن والسنة فى الدعوة د/ محمود يوسف كريت ص ٧٥ .
(٣) انظر علوم الدين الإسلامى د/ عبد الله شحاته ص ٢٩٨ .

ويقول صاحب لسان العرب : الحكمة : العدل ورجل حكيم ، عدل حكيم وأحكم الأمر أتقنه والحكيم المتقن للأمور (١).

الحكمة فى القرآن الكريم :

وردت الحكمة فى القرآن الكريم على عدة أوجه منها كما يروى عن مقاتل ما يلى :

(١) بمعنى الوعظ والتذكير قال تعالى : « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به » (٢) « وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم » (٣) .

(٢) بمعنى الفهم والعلم ومنه قوله تعالى : « وآتيناه الحكم صبيا » (٤).
وقوله سبحانه « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (٥)
وقوله « أولئك الذين آتيناهم الحكم والنبوة » (٦) .

(٣) بمعنى النبوة ومنه قوله تعالى : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة » (٧) .

وقوله تعالى : « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٨) (٩) .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور حـ ٣ ص ٩٥٣ طبعه دار المعارف .
(٢) البقرة / ٢٣١ (٣) النساء / ١١٣ .
(٤) سورة مريم / ١٠٢ (٥) لقمان / ١٢ .
(٦) الأنعام / ٨٩ . (٧) النساء / ٥٤ .
(٨) ص / ٢٠ .
(٩) انظر منهج القرآن والسنة فى الدعوة ص ٧٦ .

أمثلة لحكمته صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة :

لاشك أن للدعاة جميعا الأسوة بإمامهم صلى الله عليه وسلم فى حياته أمثلة كثيرة وعظيمة تبين لنا مدى حكمته فى تبليغ الدعوة وسوف نذكر منها أمثلة ليقتدى بها الدعاة إلى الله عز وجل وليعرفوا أثر الحكمة فى نشر الدعوة وفى إلجام الخصوم وإقالة عثرة المنحرفين وتحقيق الطمأنينة فى القلوب.

وقد كان صلى الله عليه وسلم حكيما فى سياسته مما كان له أعظم الأثر فى نجاح الدعوة الإسلامية المترامية الأطراف .

فقد اجتمع لديه صلى الله عليه وسلم من رجاحة العقل وقوة العزم والأسلوب الحكيم ما جعله مربيا حكيما وقائدا محنكا . وفى هذا البحث القصير سوف نضرب أمثلة لأسلوبه وسياسته الحكيمة فى الدعوة .

(أ) من أساليبه الحكيمة فى الدعوة أنه كان يسأل عن الشىء الخاص فيجيب بما يتناوله وغيره حتى يكون ما أجاب به قاعدة عامة للسائل وغيره ومنها الإيجاز إذا اقتضى الحال ذلك كما فى مكاتباته للملوك والأمراء والأطناب عند مقتضى الحال كما فى خطبه فى الحث على التزام الأحكام أو التحريض على القتال .

ومنها إعطاء الوسائل صورة ما تفضى إليه كما فى قوله صلوات الله وسلامه عليه (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) (١) .

وكقوله : (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)(٢).

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى من حديث ابن مسعود .
(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

ومنها ضرب الأمثال وصوغ التشابيه التى تهدى إلى الحقيقة فإن للتمثيل أثرا كبيرا فى إظهار الحقائق الخفية وتقريب المعانى البعيدة حتى تصير واضحة مألوفة . لقوله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)(١) . وقوله (ترى المؤمن فى توادهم وتراحمهم وتعطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٢)(٣) .

وهكذا كان لهذا الأسلوب الحكيم فى الدعوة الأثر البالغ فى نجاحها وانتشارها ، مما يحتم على الدعاة فى كل زمان ومكان أن يتأسوا بإمامهم صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

(ب) من سياسته الحكيمة فى الدعوة :

لقد كان لسياسته الحكيمة فى الدعوة أثر بالغ فى نشرها وذيوعها ، ومن هذه السياسة الحكيمة (١) أنه صلى الله عليه وسلم قد قام بالدعوة صابراً على الأذى الذى كان يلقاه من قريش وغيرهم ممن لا يبصرون نور الحق ولا يروقهم جمال الفضيلة ممن يظهر أمامهم الحق واضحا فيرونها باطلا وتتجلى بين أيديهم الفضيلة فيرونها رذيلة . ومع ذلك نجده صلى الله عليه وسلم لم ييأس بل صبر وتحمل وعالج كل ذلك بالحكمة البالغة والعظة النافذة .

والأمثلة على صبره وتحمله فى سبيل نشر الدعوة كثيرة منها :

(١) ما رواه البخارى عن عبد الله قال لما قسم النبى صلى الله عليه وسلم وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار ما أراد بها وجه الله فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فتغير وجهه ثم قال رحمة الله على موسى لقد أوذى

(١) متفق عليه من حديث أبى موسى الاشعرى .
٢) رواه البخارى من حديث النعمان بن بشير .
(٣) انظر هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٣١ ، ٣٢ .

بأكثر من هذا فصبر)(١) .

وهذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أدب سام حيث قابل كل ما يرميه بعض الجفاة بالكلمة الغليظة قابلها بالصفح تلبية لقول الله عزوجل له (واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقوله (فاصفح الصفح الجميل) وعرض دعوته عليهم فى لين ورفق وحكمة سامية . وهو بلا شك فى ذلك مثلا يحتذى وإماما يقتدى .

(٢) عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبه ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء (٢) (٣) .

هذه بعض الأمثلة مما لاقاه صلى الله عليه وسلم من أذى وغلظة فى القول ناهيك عما لاقاه من أبى جهل وأبى لهب وابن أبى معيط وغيرهم ممن كانوا يؤذونه وأصحابه ويمعنون ويحرضون ولا يستحيون ومع كل ذلك لما ظهر أمر الله وانتصر صلى الله عليه وسلم على هؤلاء العتاة فى غزوة بدر لم يتشف منهم ولم يقابل حمقهم بمثله بل قابل الحمق بالحلم والرفق والصلف واللجاج بالوداعة والأناة .

وهذا بلا شك صنيع رشيد وسياسة حكيمة أثمرت وأينعت .

(١) رواه البخارى فى صحيحه ج ٣ ص ٧٠ .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) ولمزيد من معرفة مالاقاه صلى الله عليه وسلم من قريش من أذى انظر صحيح البخارى باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) ومن سياسته الحكيمة فى الدعوة : أنه لم يكن بالسباب ولا باللعان

فقد روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال (لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فحاشا ولا لعانا كان يقول لأحدنا عند المعتبة مالك ترب جبينه)(١) أسلوب رقيق كله سمو وعلو .

(٣) ومن سياسته الحكيمة صلى الله عليه وسلم فى الدعوة ، أنه كان يتحرى بالموعظة أوقات الفراغ والحاجة والنشاط إلى استماعها ، وهـذا أمر يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند الدعوة تأسيا بإمام الدعاة صلى الله عليه وسلم ، ومما يدل على ذلك مارواه الإمام البخارى فى صحيحه عن ابن مسعود قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السأمة علينا)(٢) والمعنى كما يقول ابن حجر فى الفتح (كان يراعى الأوقات فى تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل)(٣) .

وروى البخارى أيضا عن أبى وائل قال : كان عبد الله(٤) يذكر الناس فى كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السأمة علينا)(٥) .

ونستطيع بعد ذلك أن نقرر مبدأ هاما يعتبر أساسا من أسس نجاح

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب / يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا

(٢) رواه البخارى فى صحيحه، كتاب العلم باب ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة لكى لا ينفروا .

(٣) فتح البارى جـ ١ ص ١٣٢ ، طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

(٤) هو ابن مسعود وكنيته أبو عبد الرحمن .

(٥) رواه البخارى .

الدعوة وهذا المبدأ هو مراعاة الوقت فينبغى للدعاة أن يتخيروا الأوقات المناسبة فى الدعوة ، حتى لا تضيع دعوتهم سدى .

(٤) ومن سياسته الحكيمة صلى الله عليه وسلم فى الدعوة . التيسير فقد كان عليه الصلاة والسلام ميسرا لا معسرا ومبشرا لا منفرا، وهو القائل فى الحديث الذى رواه البخارى عن أنس : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)(١) ، والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث يدعونا إلى أن نكون مبشرين وهذا ما يجب أن يراعيه الدعاة فى دعوتهم بحيث ينزعوا من قلوبهم الغلظة والشدة والفظاظة حيث أن هذه الأشياء توجب النفرة والبعد عن الدعاة ولنا فى قول الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة حيث قال له (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر . . . الخ)(٢) .

فالدعوة ينبغى أن تكون بتلطف لكى تقبل ، لأن الشىء إذا كان فى ابتدائه ـ كما يقول ابن حجر ـ سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده (٣) .

(٥) ومن سياسته فى الدعوة أيضا : أنه صلوات الله وسلامه عليه كان فى موضع الانتقام محسنا فى مكان الإساءة ، ومما يدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة ابن أثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال عندى خير يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد قال له : ما عندك يا ثمامة ؟

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

(٢) آل عمران / ١٥٩ .

(٣) فتح البارى جـ ١ ص ١٣٣ .

قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة ؟ قال عندى ما قلت لك : فقال : أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد ! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، والله ما كان أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلى - أو قال الأديان - والله ما كان بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلى)[1]

فانظر إلى أى مدى أثر العفو والإحسان ، وبمثل هذه المعاملة الحسنة اجتمعت القلوب حوله صلى الله عليه وسلم .

ونكتفى بهذا القدر من سياسته الحكيمة صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة .

وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم وكما وصفه أصحابه رضوان الله عليهم أوسع الناس صدرا وأصدقهم مهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة يؤلف الناس ولا ينفرهم ويكرم كريم القوم ويوليه عليهم ويتفقد أصحابه ويعطى كل أحد من جلسائه نصيبه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه حتى صار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء ، وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح .

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم وأكثر من ذلك كان الذروة فى الكمال البشرى والعبودية لله عز وجل ، وما أحرانا نحن الدعاة أن نهتدى بهديه ونقتدى به فهو الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

---

(١) متفق عليه .

ثانيا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم
الدعوة بالموعظة الحسنة

فى الآية التى أمر الله عز وجل نبيه بالدعوة بالحكمة التى التزم بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته أسلوباً وعملا فى نفس الآية أمر الله كذلك نبيه بأن يدعو بالموعظة الحسنة ، وقد التزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ودعا إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة ، وفى هذا المبحث سوف نذكر معنى الموعظة وغايتها وأثرها وحتى تكون مؤثرة ، وذكر نماذج من موعظته الحسنة صلى الله عليه وسلم آملين أن يتأسى بها كل داعية يسير على طريقه صلى الله عليه وسلم .

معنى الموعظة لغة واصطلاحا :

جاء فى لسان العرب : الوعظ والعظة والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب .

قال ابن سيده : هو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[1] .

وفى الاصطلاح : تطلق على القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية[2] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٤٨٧٣ ، دار المعارف .

(٢) انظر هداية المرشدين ص ٧١ .

غايتها وفضلها :

غايتها صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين .

وفضلها عظيم وشرفها جسيم فإنها متعلقة بطب الأرواح وعلاج النفوس لتصل إلى السعادة .

أثرها :

من أثر الموعظة الحسنة :

١ - بالموعظة تصح النفوس وتسلم القلوب من المخاطر .

٢ - بها تتهذب النفوس وتنبه العقول من غفلتها وتستيقظ من رقدتها

٣ - هى العلاج الناجع لصلاح العالم .

الشروط التى يجب توفرها حتى تكون الموعظة حسنة ومؤثرة :

١ - أن تكون ذات موضوع واحد .

٢ - أن يحسن الواعظ عرضها وصياغتها فى أسلوب سهل .

٣ - أن يدعمها بالحجة النقلية من القرآن والسنة والعقلية التى يقتنع بها السامعون مع التلطف فى القول والرفق فى المعاملة .

٤ - أن يتخلق بما يقول مظهرا ومخبرا فبمقدار إخلاصه فى القول والعمل ينتفع سامعوه .

٥ - العلم بالكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح وبالقدر الكافى من الأحكام الشرعية ثم العمل بذلك كله .

٦ - أن يتجمل بالعفة واليأس مما فى أيدى الناس .

٧ - أن يعلم أحوال الناس من حيث طباعهم وأخلاقهم وتاريخهم .

٨ - أن يكون الواعظ ملما بثروة كلامية يختار خير الأساليب التى يمتلك بها قلوب سامعيه .

٩ - أن يكون ذا فراسة يتعرف حال سامعيه ، وفى الحكم المأثورة من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك .

١٠ - أن يتجنب الوعاظ الخوض فى دقائق علم الكلام أو يحدثوا الناس بما لا يفهمون فيفسدوا على الناس دينهم ويشوشوا أفكارهم (١) .

نماذج رائعة من دعوته صلى الله عليه وسلم بالموعظة الحسنة :

من الثابت أن لين القول محل رجاء التذكر والإيقاظ والخشية .

ودليل ذلك من كتاب الدعوة ودستورها حيث يقول الحق : (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)(٢) ، يقول الإمام ابن كثير عن العبرة من هذه الآية : هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون فى غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب إلا بالملاطفة واللين (٣) .

ولكن ما هو السر فى أن للموعظة الحسنة هذا الأثر العظيم وللقول اللين هذه الاستجابة من المدعوين ؟

السر فى ذلك على ما أعتقد أن النفوس البشرية جبلت على الميل إلى العظمة وحب الكرامة واستثقال الموعظة ، فمن أراد أن يصرفها عن غيها إلى رشادها فعليه أن يقتدى بإمام الدعاة صلى الله عليه وسلم ويهتدى بهديه فى تبليغ الدعوة .

فقد كانت موعظته حسنة وقوله لينا كان صلى الله عليه وسلم يمزج مرارة الحق بحلاوة التلطف وكان يسهل صعوبة التكلف ومشقته بطلاوة

---

(١) انظر منهج القرآن والسنة فى الدعوة د/ محمود كريت ص ٨٥ بتصرف .

(٢) طه / ٤٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٥٣ عيسى الحلبى .

الرفق واللين . والأمثله على ذلك كثيرة نذكر منها بعضها لنهتدى بها فى الدعوة ونتأسى برسولنا صلى الله عليه وسلم فى ذلك.

١ - روى أبو أمامه أن غلاما شاباً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يانبى الله : أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به فقال النبى صلى الله عليه وسلم قربوه أدن فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟ قال : لا جعلنى الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . أتحبه لابنتك ؟ قال : لا جعلنى الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا جعلنى الله فداءك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شىء أبغض إليه منه يعنى الزنا(١).

٢ - ومن موعظته الحسنة وقوله اللين لمن جهل عليه ما ذكره صاحب الشفا .

أن رجلال (٢) قال له إعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . لم يزده فى جوابه أن بين له ما جهله ، ووعظه نفسه وذكرها بما قال له فقال له ويحك فمن يعدل إن لم إعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله .

والحديث عن موعظته الحسنة ولينه فى القول أكثر من أن نأتى عليه وحسبنا ما ذكرناه من أمثلة يجب أن نهتدى بها فى مجال الدعوة ومن أوتى حظه من ذلك فقد أوتى خيرا كثيرا .

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد .

(٢) هو ذو الخويصرة التميمى وهو حرقوص بن زهير وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصر التميمى . قال فى نسيم الرياض : الصواب أن والده هو القائل ، وهو حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والبخارى وأخرجه البيهقى أيضا (أنظر الشفا للقاضى عياض ج ١ ص ١٣٨) .

ثالثا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم
المجادلة بالتى هى أحسن

فى آية سورة النحل يأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى الحكمة والموعظة الحسنة أو يدعو بالمجادلة بالتى هى أحسن فقال تعالى :

(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (١) .

وقبل ذكر نماذج من هديه صلى الله عليه وسلم فى مجادلته بالتى هى أحسن .

نلقى بعض الضوء على معنى الجدل وأنواعه ، ومعنى المجادلة بالتى هى أحسن وبالله التوفيق .

معنى الجدل :

الجدل : اللدد فى الخصومة والقدرة عليها ويقال جادلت الرجل فجدلته جدل أى غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى فى الخصام .

وجادله أى خاصمه مجادله وجدالا والإسم الجدل وهو شدة الخصومة ، وفى الحديث ما أوتى الجدل قوم إلا ضلوا .

الجدل معابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة .

والمراد به فى الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار

(١) النحل /١٢٥ .

الحق فإن ذلك محمود لقوله عز وجل (وجادلهم التى هى أحسن)[١].

هذا ماقاله صاحب لسان العرب .

أما صاحب المصباح المنير فيقول : جادل مجادلة وجدالا إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب هذا أصله .

ثم استعمل على لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم[٢].

وجاء فى مختار الصحاح : (جادله ـ خاصمه ـ فجادله وجدالا والإسم الجدل، وهو شدة الخصومة)[٣].

وهكذا نرى أن الجدل إما أن يكون المخاصمة بما يشغل عن الحق وظهوره ووضوح الصواب وهذا مذموم قطعاً وإما أن يكون للوقوف على الحق ومقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهذا هو الجدل المحمود .

وبهذا يتبين لنا أن الجدل إما يكون :

(أ) محمود وهو الذى يكون لإظهار الحق وبيان الصواب وهذا هو المقصود بقوله تعالى : (وجادلهم بالتى هى أحسن) وهذا ما يجب أن يكون فى مجادلة الدعاة .

(ب) مذموم وهو الذى يقصد به المغالبة وشدة الخصومة لا لإظهار الحق وقرع الحجة بالحجة بل لمجرد المغالبة وإظهار البراعة والتفوق وهذا بلا شك هو الجدل المنهى عنه الذى ذمه الله عز وجل ونهانا عنه رسولنا صلى الله عليه وسلم وحذر الدعاة منه .

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٥٧١ ، دار المعارف .
(٢) المصباح المنير ـ مادة جدل .
(٣) مختار الصحاح مادة جدل .

المقصود بالمجادلة بالتى هى أحسن :

المجادلة بالتى هى أحسن هى عبارة عن القول الذى يهدى إلى الحق بالمسالمة وتحريك داعية النظر من أجل إظهار الصواب وبيان الحق ومقابلة الأدلة لظهور أرجحها .

لماذا دعانا الله عز وجل بأن تكون المجادلة بالتى هى أحسن ؟ .

والإجابة على ذلك نقول :

إن الإسلام دين واضح وجلى وكل ما فيه حق وثابت وحرى بدعوة كهذه أن تكون الدعوة إليها بالحجة والمجادلة بالتى هى أحسن ولا يجوز أبدا أن ندعو إلى الحق بوسيلة فيها باطل لأن ما فى الإسلام من الحق والوضوح يغنيه عن المجادلة بالباطل .

وفى القرآن الكريم أمثلة عظيمة للجدل المحمود الذى يبغى الوصول إلى الحق والصواب ، فمثلا حينما جادل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه عن الروح أنزل الله عز وجل (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[١].

نماذج رائعة من هديه صلى الله عليه وسلم فى المجادلة بالتى هى أحسن :

كان لمجادلة رسولنا صلى الله عليه وسلم بالتى هى أحسن الأثر العظيم فى نشر الإسلام فكان الواحد من غير المسلمين حينما يجادله رسول الله بالتى هى أحسن ويزيل عن قلبه ـ قلب الإنسان غير المسلم ـ الغشاوة ويظهر له الصواب والحق كان يدخل فى الإسلام عن اقتناع كامل ويقين تام بأن هذا الدين

(١) الإسراء / ٨٥ .

هو الحق . وفيما يلى نذكر بعض النماذج من مجادلته صلى الله عليه وسلم لقومه بالتى هى أحسن .

١ - روى ابن اسحاق قال : حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده . يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من (الشرف) فى العشيرة والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال : فقال له رسول الله صلى عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع قال يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له :

يا أبا الوليد؟ قال نعم قال فاسمع منى قال أفعل فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه ثم انتهى رسول

الله صلى الله وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . (١) .

وهكذا جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة بالحسنى ورد عليه بأعظم كلام ألا وهو كلام الله عز وجل .

وكانت نتيجة هذه المجادلة بالتى هى أحسن أن عتبة رجع إلى قومه بغير الوجه الذى ذهب به كما قال بذلك بعضهم لبعض . رجع قائلا إنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة(٢) الخ . ما قال :

٢ - لما هرب عدى بن حاتم إلى الشام فارا من الله ورسوله وخلف بنتا لحاتم وأسرت وأتى بها إلى رسول صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيء وعوملت معاملة حسنة وسمح لها بعد أن قدم رهط من قومها لها فيهم ثقة أن تأتى أخاها بالشام فأتته وعاتبته معاتبة شديدة لتركه لها ثم دعته أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأشارت عليه بذلك يقول عدى : (فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل ؟)

فقلت عدى بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى إلى بيته فو الله لعاق بى إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها قال قلت فى نفسى والله ما هذا بملك قال ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل إلى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقدفها إلى فقال إجلس على هذه قال قلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٩٢ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٣ .

قال قلت فى نفسى والله ما هذا بأمر ملك ثم قال إيه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسيا قال قلت بلى قال أو لم تك تسير فى قومك بالمرباع قال قلت بلى قال فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك قال قلت أجل والله قال فعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل .

ثم قال لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض منهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عددهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه إنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم والله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال فأسلمت قال فكان عدى يقول مضت إثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من تأخذه (١) .

وهكذا يجب أن يتعلم الدعاة ويهتدوا بهدى نبيهم فى جداله مع قومه بالتى هى أحسن ويدعو إلى سبيل ربهم كما دعا إمامهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن .

أما حصول الهداية فلا تتعلق بالداعية فهو تعالى أعلم بالضالين وأعلم بالمهتدين .

ولهذا يقول الرازى فى معنى قوله تعالى « إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (٢) : والمعنى أنك مكلف بالدعوة إلى الله تعالى

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٥٨ .
(٢) النحل / ١٢٥ .

بهذه الطرق الثلاثة (الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن) فأما حصول الهداية فلا يتعلق بك فهو تعالى أعلم بالضالين وأعلم بالمهتدين (١) .

ويقول ابن كثير فى معنى هذه الآية أيضا « فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب » (٢) .

وهكذا فعلى الدعاة أن يلتزموا بهذا المنهج العظيم ويهتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة ويبذلوا قصارى جهدهم بلا يأس أو ملل .

وليعلم الدعاة أن مهمتهم هى البلاغ وعلى الله عز وجل الحساب .

(١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى جـ ٢٠ ص ١٤٠ دار إحياء التراث، بيروت
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٩١ .

رابعا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة
أنه كان ناصحا لا معيرا

لا ريب أن الأخوة لها قدسيتها وحرمتها وقد جعلها إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم لما لها من أهمية شرطا لدخول الجنة ، فقال فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا ولا تسلموا حتى تحابوا وأفشوا السلام تحابوا وإياكم والبغضة فإنها هى الحالقة لا أقول لكم تحلق الشعر ولكن تحلق الدين »(١) .

وهذه الأخوة فى الله تجعل المسلم يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه .

وكما قال تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »(٢) .

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وقد توافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مؤكدة وداعية إلى حب المؤمن لأخيه المؤمن وإلى نبذ الفرقة ، وداعية إلى سلامة الصدور وإلى تثبيت دعائم الأخوة وإشاعة المحبة والود والوئام .

فقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة »(٣) وقال « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم »(٤) .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، والبخارى فى الأدب المفرد .
(٢) التوبة / ٧١ .
(٣) آل عمران من الآية / ١٠٣ .
(٤) التوبة / ٧١ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)(١) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تفاحشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)(٢) .

ما يمزق هذه الأخوة :

هذه الأخوة التى دعانا إليها الإسلام وجعلها شرطا لدخول الجنة توجد علل تمزقها وتورث الأحقاد وتذهب الألفة وتؤدى إلى النفرة .

العلة الأولى :

اللسان . ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوصى معاذا « ثكلتك أمك يا معاذ ألا يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم)(٣) .

وللإمام الشافعى رحمه الله فى هذا المعنى شعرا يقول فيه :

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه وهذا اللفظ لمسلم .
(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه وسكتا عنه وأحمد فى مسنده .

لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فلك عورات وللناس ألسن

العلة الثانية :

تتبع الناس وسوء الظن بهم وتعييرهم وتوبيخهم بدلا من نصحهم .

ولهذا دعانا صلى الله عليه وسلم إلى ترك التعيير والتوبيخ والسب والشتم وأن يكون النصح هو المنهج الذى نسير عليه فى دعوتنا وكان ذلك المنهج هو هديه صلى الله عليه وسلم ، فقد كان ناصحا لا معيرا .

الفرق بين النصيحة والتعيير (١) :

لا شك أن الداعية فى حاجة ماسة لأن يعرف الفرق بين أن يكون ناصحا أو معيراً بين أن يكون واعظا بموعظة حسنة أو موبخا لمجرد التوبيخ والذم وإظهار عورات الناس .

يقول ابن رجب الحنبلى فى الفرق بين النصيحة والتعيير (٢) : « إنهما يشتركان فى أن كلا منهما ذكر الإنسان بما يكره ذكره وقد يشبه الفرق بينهما عند كثير من الناس ثم يقول : إعلم أن ذكر الإنسان بما يكره حرام إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص ، فأما إن كان فيه مصلحة لعامة المسلمين خاصة لبعضهم كان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل مندوب إليه » .

وهكذا نستطيع أن نقول إن الداعية إن كان غرضه من الكلام إظهار

(١) كتب الإمام الجليل ابن رجب الحنبلى كتيبا فى ذلك حققه وعلق عليه نجم عبد الرحمن خلف . .

ونشرته المكتبة القيمة . وقد اعتمدنا عليه فى كتابة الكثير من هذه النقطة من هذا البحث .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

عيب من ينصحه وبيان نقصه وقصوره وكشف سره لمجرد ذلك فقط كان ذلك محرما وهذا هو التعيير ، سواء كان ذلك فى وجهه أو فى غيبته فى حياته أو بعد موته ، وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم ناهيا عن إيذاء الناس وعن تتبع عوراتهم « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته »(١) .

وأما إن كان غرضه وهدفه من الوعظ هو أن يقلع من يدعوه عن ذنبه ويثوب إلى رشده من غير توبيخ وسب وشتم فهو حسن وهذه هى النصيحة لأن غرض الداعية فى هذا هو إصلاح من يدعوه وليس لمجرد كشف عورته وهتك ستره فالتعيير بالذنب مذموم .

هديه صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الإشاعة وإظهار العيوب والتعيير بالذنب :

كان صلى الله عليه وسلم فى دعوته عن التعيير والسب وإظهار العيوب فقد كان ناصحا ليس له غرض فى إشاعة عيوب من ينصح له وإنما غرضه ومقصده صلى الله عليه وسلم إزالة المفسدة من غير فضيحة لمن ينصحه وشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصده الفضيحة .

(وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يثرب (٢) الأمة الزانية مع أمره

(١) أخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب الأدب ، والترمذى / كتاب البر والصلة وأحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه / كتاب الحدود .

(٢) التثريب بمثناة ثم موحدة قهو التصنيف وزنه ومعناه وقد جاء بلفظ ولا يعنفها فى رواية عبد الله العمرى عن سعيد المقبرى عند النسائى ، (انظر فتح البارى ج ١٢ ص ١٣٩ .

بجلدها فتجلد حداً ولا تعير بالذنب ولا توبخ به (١) .

وفى الترمذى وغيره مرفوعا « من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله (٢) .

وحمل ذلك على الذنب الذى تاب منه صاحبه (٣) .

قال الفضيل بن عياض وهو أحد العباد الزهاد « المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير » (٤) وهذا الذى قاله الفضيل يعتبر فاصلا دقيقا بين النصح والتعيير وهو أن النصح يقترن به الستر .

والتعيير يقترن به الإعلان ، وكان يقال « من أمر أخاه على رءوس الملأ فقد عيره .

---

(١) ونصه كما جاء فى صحيح البخارى قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر » رواه البخارى انظر فتح البارى ج ٢١ ص ١٣٩ .

(٢) أخرجه الترمذى فى جامعه / كتاب صفة القيامة وذكره الإمام السيوطى فى جمع الجوامع وأخرجه الطبرانى .

(٣) يقول محقق كتاب ابن رجب الحنبلى (الفرق بين النصيحة والتعيير) قال أحمد بن منيع (١٦٠ — ٢٤٤) وهو شيخ الترمذى (قالوا من ذنب قد تاب منه) أورده الترمذى عقب هذا الحديث . تحفة الأحوذى ج ٧ / ٢٠٥ . ومنه أن ذكر الذنب لمجرد التعيير قبيح يوجب العقوبة وقد روى ابن عساكر فى تاريخه عن عمر أنه قال (لا تعيروا أحدا فيفشوا البلاء فيكم) كشف الخطأ ٢ / ٤٩٧ وللبيهقى عن يحيى ابن جابر قال ما عاب رجل قط رجلا بعيب إلا ابتلاه الله بذلك العيب .

وعن النخعى قال (إنى أرى الشىء فأكرهه فما يمنعنى أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله) وأنا أقول إن على الداعية أن ينصح ولكن يجب أن يكون مقصده هو إزالة المفسدة بلا تعيير أو تضييف أو فضيحة لمن ينصحه .

(٤) الفرق بين النصيحة والتعيير ص ٣٨ .

ورحم الله الإمام الشافعى (١٥٠ — ٢٠٤) إذ يقول فى هذا المعنى :

تعمدنى بنصحك فى انفرادى
وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرض استماعه
وإن خالفتنى وعصيت قولى
فلا تجزع إذا لم تعط طاعة (١)

« وكان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على هذا الوجه ويحبون أن يكون سرا فيما بين الآمر والمأمور فإن هذا من علامات النصح فإن الناصح ليس له غرض فى إشاعة عيوب من ينصح له وإنما غرضه إزالة المفسدة التى وقع فيها وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله قال الله تعالى « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٢)(٣)

وهناك أحاديث كثيرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم تدعونا إلى الستر وتنهانا عن إشاعة الفاحشة وفيها درس عظيم لكل الدعاة حتى يكون لا غرضهم من النصح مجرد إشاعة العيب فى أخيه ومن يدعوه وهتك عرضه وفقط .

ومن هذه الأحاديث : ما رواه البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر

---

(١) من ديوان الإمام الشافعى ص ٥٦ جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبى — دار الجيل بيروت لبنان .

(٢) النور / ١٩ .

(٣) انظر : ابن رجب الحنبلى الفرق بين النصيحة والتعيير ص ٢٩ .

رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »(١).

ويقول ابن رجب(٢) « وقال بعض العلماء لمن يأمر بالمعروف « واجتهد أن تستر الصاة فإن ظهور عوراتهم وهن فى الإسلام أحق شىء بالستر : العورة ».

فلهذا كان إشاعة الفاحشة مقترنة بالتعيير وهما من خصال الفجار لأن الفاجر لا غرض له فى زوال المفاسد ولا فى اجتناب المؤمن للنقائص والمعايب إنما غرضه فى مجرد إشاعة العيب فى أخيه المؤمن وهتك عرضه ، فهو يعيد ذلك ويبديه ومقصوده ينقص أخيه المؤمن فى إظهار عيوبه ومساويه للناس ليدخل عليه الضرر فى الدنيا .

وأما الناصح فغرضه بذلك إزالة عيب أخيه المؤمن واجتنابه له وبذلك وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »(٣).

ووصف بذلك أصحابه فقال « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »(٤) ووصف المؤمنين بالصبر والتواصى بالمرحمة . وأما الحامل للفاجر على إشاعة السوء وهتكه فهو القوة والغلظة ومحبته إيذاء

---

(١) ج ٢ ص ٦٦ كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه .
(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير ص ٣٠ .
(٣) التوبة / ١٢٨ .
(٤) الفتح / ٢٩ .

أخيه المؤمن وإدخال الضرر عليه وهذه صفة الشيطان الذى يزين لبنى آدم الكفر والفسوق والعصيان ليصيروا بذلك من أهل النيران كما قال الله « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا »(١) .

عقوبة من أشاع السوء على أخيه المؤمن وتتبع عيوبه وعيره وكشف عورته :

وعقوبة من أشاع السوء على أخيه المؤمن وتتبع عيوبه وكشف عورته أن تتتبع الله عورته ويفضحه ولو فى جوف بيته كما روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه أخرجه الإمام أحمد (١٦٤ — ٢٤١ ه) وأبو داود (٢٠٢ — ٢٧٥) والترمذى (٢٠٩ — ٢٧٩) ، من وجوه متعددة وأخرج الترمذى من حديث واثلة بن الأسقع(٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك)(٣) وقال حسن غريب

وقال الحسن (كان يقال من عير أخاه بذنب تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به) .

ولما ركب ابن سيرين (٤) الدين وحبس به قال إنى أعرف الذنب الذى

---

(١) فاطر / ٦ .
(٢) هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر من بنى ليث بن عبد مناف أسلم قبل تبوك وشهدها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أبى مرثد وأبى هريرة وأم سلمة وغيرهم . قال ابن سعد كان من أهل الصفة ثم نزل الشام شهد فتح حمص وغيرها قال أبو مهر وغيره مات سنة ٨٥ وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة . (انظر الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر حـ ٦ ص ٣١٠ دار الكتب العلمية بيروت) .
(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه وقال حديث حسن غريب .
(٤) توفى سنة ١١٠ ه وكان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها وكان يصوم يوما ويفطر يوما

أصابني هذا عيرت رجلا منذ أربعين سنة فقلت له يامفلس[1].

وهكذا نرى أن عاقبة من يشيع الفاحشة ويعير أخاه بقصد كشف سره وهتك ستره ولا يكون مقصوده إزالة المفسدة والرجوع إلى الفضيلة رأينا أن عاقبة من يفعل ذلك وخيمة ، نسأل الله العافية .

ومن أظهر التعيير : إظهار السوء وإشاعته فى قالب النصح وزعم أنه إنما يحمله على ذلك العيوب إما عاما أو خاصا وكان فى الباطن إنما غرضه التعيير والأذى فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله فى كتابه فى مواضع فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلا وقولا حسنا وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده فى الباطن وعد ذلك من خصال النفاق قال تعالى فى سورة براءة « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون[2] »[3] .

وهكذا : نرى هديه صلى الله عليه وسلم فقد كان ناصحا لا معيرا وكان يقصد إزالة المفسدة دون إشاعة السوء وهذا ما يجب أن يكون عليه الدعاة الله عز وجل أن يكون غرضهم النصح مقترنا بالستر دونما غرض فى إشاعة عيوب من ينصح له ، وليكن لنا جميعا الأسوة فى نبينا صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

(١) انظر ابن رجب الحنبلى الفرق بين النصرة والتعيير ص ٣٣ .
(٢) التوبة / ١٠٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٤ .

خامسا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة تألفه أصناف الخلق بحسن عشرته وأدبه وبسط خلقه وحسن معاملته

كان صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله عز وجل بوسيلة عظيمة ومؤثرة إلى حد بعيد وهى الدعوة بحسن المعاملة وحسن العشرة وبسط الخلق وهذا ما يسمى الدعوة بالحال وهذا هدى يجب أن يهتدى به الدعاة اليوم فالمقال أمر سهل يجيده الخيرون كما يجيده غيرهم أما الدعوة بالحال وحسن المعاملة وبسط الخلق فهذا لا يجيده إلا الصادقون الذين أخلصوا لله عز وجل فى دعوتهم وجعلوها حية فى كيانهم وسلوكهم .

ولنا جميعاً الأسوة الحسنة فى إمامنا صلى الله عليه وسلم وهادينا فلقد كان وصفه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كان - صلى الله عليه وسلم - أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة[1] والمراد بسعة صدره أنه صلى الله عليه وسلم كان يتحمل مشاق الناس وكثرة تكاليفهم وكان أصدق الناس لهجة أى كلاما .

وكان ألين الناس عريكة أى أسهل الناس طبعاً ، وهذه كلها صفات لازمة لكل داعية يريد أن يهتدى بهديه صلى الله عليه وسلم .

وهذا قيس بن سعد يصف لنا جانبا من جوانب عظمته وأخلاقه وحسن معاملته صلى الله عليه وسلم مع قومه فيقول « زارنا رسول الله صلى الله

(١) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) ج١ ص ١٥٥ ، طبعة عيسى الحلبى .

عليه وسلم ، وذكر قصة فى آخرها : فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه [1] بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت (وفى رواية أخرى إركب أمامى فصاحب الدابة أولى بمقدمها) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم [2] ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشرة ولا خلقة ، يتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء ...

بهذا وصفه ابن هاله قال : وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا شحاب [3] ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤنس منه وقال الله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » [4] وقال تعالى « ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » [5] .

---

(١) المعنى أنه وضع على ظهر الحمار كساءه وبرذعته ليركب عليه صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى يؤلف المسلمين بإيناسهم ليزداد إيمان من كان قريب عهد بالإسلام وليحسن من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد إليه .

(٣) بالصاد والسين : كثير الصياح .

(٤) آل عمران / ١٥٩ .

(٥) المؤمنون / ٩٦ .

وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا [1] ويكافىء عليها [2] .

قال أنس : خدمت رسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشىء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشىء تركته لم تركته ؟ [3] .

وقال جرير بن عبد الله : ماحجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى إلا تبسم

وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر [4] .

ومن حسن خلقه وحسن عشرته أنه كان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد ، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز [5] فيقطعه بنهى أو قيام ، ويروى بانتهاء أو قيام .

ويروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله

---

(١) المراد أنه صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو كانت حقيرة . حيث أن الكراع هو ماتحت الركبة إلى الخف والحافر والظلف

(٢) أى يجازى على الهدية بشىء مثلها أو أكثر .

(٣) رواه مسلم وأبو داود .

(٤) انظر : الشفا جـ ١ ص ١٥٧ .

(٥) أى حتى يكثر فيتجاوز الحد أو يخرج إلى مالا يليق .

عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته ، وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب (١) .

وهكذا كان أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه وعشرته ومهما تحدث المرء عن صفاته وأخلاقه فلن يحيط بهما وصدق من قال :

فأكثر وبالغ ان تحيط بوصفه
وأين الثريا من يد المتناول

وبهذه الدعوة الرشيدة وهذا الهدى العظيم استنارت البصائر واهتدت وانتشر الإسلام فى الخافقين .

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ .

سادسا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم كذلك فى تبليغ الدعوة

اعتماده على الآيات البينة والحجج المحكمة
وما يتقبله العقل السليم ويألفه الذوق
ولا تقف دونه البديهة ولا تنكره الحقيقة

لقد قام صلوات الله وسلامه عليه بتبليغ الدعوة بالحجج المحكمة والآيات البينات داعياً الناس إلى التأمل والتفكر فيما يعرض عليهم وإلى أن ينظروا فى الكائنات ليصلوا عن طريق هذا النظر وهذا التأمل وهذا البرهان إلى أن لهذا الكون إله قادر حكيم عليم واحد لا شريك له فالدعوة الإسلامية دعوة فطرية فطر الله الناس عليها ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ،(١) هى دعوة لا ينكرها إلا كل جاحد سوى لأن الإنسان مفطور على قبولها ، ولذا لم يعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم فى تبليغها على الخوارق بل كان يوجه العقول إلى الحقائق ويهيب بها إلى التأمل فى الكون وماحوى من مظاهر الإبداع والإتقان وفى كل شىء له آية ناطقة بلسان حالها على أنه واحد لا شريك له موجود كامل الوجود ومن كان كذلك فهو واهب الوجود لكل موجود يدعوهم إلى النظر فى الكائنات ليصلوا من طريق التأمل الصادق والنظر الصحيح والبرهان القاطع إلى أن خالق الأكوان على هذا الإحكام والإتقان ومدبرها على هذا النظام البديع لابد قادر وعليم وحكيم لا يعجزه شىء ولا يعزب عن علمه مقدار ذرة فى الأرض ولا فى السماء ...

وهكذا ، وعلى يدى هذا الرسول الأمين آمن الناس بالله عن بينة أشربوا

(١) الروم / ٣٠ .

فى قلوبهم عقيدة التوحيد الخالص عن عقل وروية وهذه هى طريقة القرآن الحكيم ، فقد جعل العقل حكما والبرهان أساس العلم وعاب التقليد وذم المقلدين وأنب من يتبع الظن وقال « إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا »(١)(٢).

وهكذا وجدنا أن من هديه صلوات الله وسلامه عليه فى تبليغ الدعوة هذه الطريقة البينة القائمة على الإقناع بالحجة والنظر فى الكائنات والتأمل فى مخلوقات الله عزوجل وهذه الطريقة جديرة بأن تهتدى بها فى تبليغ الدعوة اقتداءا بإمام الدعاة وسيدهم صلى الله عليه وسلم ، والمتأمل فى كتاب الدعوة ودستورها يجد أن هذه الطريقة هى من سبل القرآن الحكيمة التى أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة فمن هذه الآيات التى أمر الله فيها بالنظر والتأمل فى دقة الصنع وبدائع الإحكام والإتقان وما جرى للأمم السابقة حينما كذبت الرسل ولم تؤمن ما يلى :

١ - قال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(٣).

ويقول تعالى :

٢ - « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون »(٤).

---

(١) النجم / ٢٨ .

(٢) انظر : الشيخ على محفوظ هداية المرشدين ص ٢٦

(٣) آل عمران / ١٩٠-١٩١ .

(٤) الأعراف / ١٩٤-١٩٥ .

ويقول تعالى :

٣ - « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءا فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ماتذكرون ، أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »(١).

٤ - ويقول سبحانه : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذ أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ».

ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماءا فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون

---

(١) النمل / ٦٠ - ٦٤ .

وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ،(١) .

٥ - ويقول تعالى أيضاً : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ،(٢) .

٦ - ويقول تعالى : « فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، (٣) .

٧ - ويقول تعالى « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ،(٤) .

٨ - ويقول تعالى : « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ،(٥) .

٩ - ويقول تعالى : « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين ،(٦) .

---

(١) الروم الآيات من ١٧ إلى ٢٧

(٢) ق / الآيات من ٦ إلى ١١

(٣) آل عمران /١٣٧ .

(٤) النمل ٦٩ .

(٥) الأعراف / ٨٤ .

(٦) النمل / ٥١ .

١٠ - ويقول تعالى : « فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ،(١)

١١ - ويقول تعالى : « فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ،(٢) .

وهكذا علم الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم ما يسلكه فى دعوة الناس إلى الإسلام .

والمتأمل فى أخبار الداخلين فى الإسلام يجد أن الكثير منهم قد دخله بمجرد أن يتلى عليه شىء من القرآن .

ويكفى دليلا على ذلك ما حدث لعمر بن الخطاب حينما عرضت عليه أخته فاطمة بنت الخطاب صحيفة فيها سورة طه ليقرأها بعد أن اغتسل فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ثم توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عند الصفا وقال له يارسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله (٣).

فما أحرانا نحن السائرين على منهجه القويم أن نترسم خطاه وأن نقتدى به فى دعوتنا فندعوا إلى الله عز وجل بالحجج المحكمة والآيات المبثوثة فى الكون وتذكير الناس بما حدث لمن كذب الله ورسوله كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

---

(١) القصص / ٤٠ .

(٢) الزخرف / ٢٥ .

(٣) انظر بالتفصيل قصة إسلام عمر فى السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص٣٣٢ وما بعدها . نشر المكتبة التوفيقية .

وقد فعل ذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فى دعوتهم فأينعت وأثمرت ودخلت قلوب الناس وقبلتها عقولهم .

فالداعية الماهر الذى اهتدى بهدى النبى صلى الله عليه وسلم يستطيع بما أكرمه الله به من نور الحكمة وقاطع الحجة وقوة البرهان وساطع البيان ومتانة علمه بعرض هذه الحجج والآيات البينات أن يبلغ الدعوة وأن يصحح القلوب من أمراضها وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدرانها وينير السبل الموصلة إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ...

سابعا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة كتبه ورسله إلى الملوك والأمراء

من هديه صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة مكاتبته الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وأن يبلغوا أممهم بهذه الدعوة الرشيدة وسوف نذكر هنا بعضاً من هذه الكتب حتى تكون نبراساً للدعاة وعوناً للهداة .

١ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم :

بعث صلى الله عليه وسلم دحية الكلبى[1] بكتاب إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه كما جاء فى صحيح البخارى جـ ١ ص ٩ .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[2] . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلى الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

---

(١) صحابى جليل كان أحسن الناس وجها وأسلم قديما وبعثه صلى الله عليه وسلم فى آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية بكتابه إلى هرقل . ومات دحية فى خلافة معاوية (فتح البارى جـ ١ ص ٣٢) .

(٢) هو جمع أريس أى الفلاح ويؤيده ما فى رواية المدايني من طريق مرسله فإن عليك إثم الفلاحين وكذا عند أبى عبيد المراد من مرسل عبد الله بن شداد وإن لم تدخل فى الإسلام فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام . قال أبو عبيد المراد بالفلاحين أهل مملكته لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح ، وقال الخطابى . أراد أن عليك إثم الأتباع والضعفاء إذا لم يسلموا تقليدا له . (فتح البارى جـ ١ ص ٣٣) .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يرى أنها قد تضمنت أعظم أهداف الإسلام وهى :

(١) عبادة الله وحده لا شريك له وأنه الخالق المستحق للعبادة وحده

(٢) ألا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فالناس جميعا مخلوقون لله عز وجل وهم سواسية لافرق بين عربى وعجمى وأبيض وأسود إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وصدق الله إذ يقول « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » الحجرات /١٣).

٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس :

بعث صلى الله عليه وسلم بكتابه هذا مع عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وجاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك . قال فلما رآه شقه »[1] (أى فرقه ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرق الله ملكه ، وقد كان حيث سلط الله على كسرى إبنه شيرويه فقتله وكان كسرى هو الذى بدأ بالعدوان وأساء الأدب مع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يكتف هذا الشقى بتمزيق كتاب رسول الله بل أرسل إلى باذام وهو نائبه على اليمن أن يبعث برجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتيا به إليه

(١) البداية والنهاية لابن كثير حـ ٤ مجلد ٢ ص١٦٨ دار الكتب العلمية ، بيروت

فدعيا هذان الرجلان إلى رسول الله ودخلا عليه وفى هذه الأثناء أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى إبنه فقتله فى شهر كذا فى ليلة كذا من الليل فدعاهما رسول الله وكان قد قال لهما ارجعا حتى تأتيانى غدا ، فأخبرهما فقالا هل تدرى ما تقول ؟ إنا نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال نعم أخبراه ذاك عنى وقولا له إن ديني وسلطانى سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهى إلى الخف والحافر وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء ، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام وأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإنى لأرى الرجل نبيا كما يقول وليكونن ماقد قال فلئن كان هذا حقا فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسيرى فيه رأيا ، فلم ينتشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد : فإنى قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان قد استحل من قتل من أشرافهم ونحرهم فى ثغورهم فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانطلق إلى الرجل الذى كان كسرى كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن [1] .

٣ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية :

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم برسالة إلى المقوقس جاء فيها : « من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم القبط » ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله

(١) انظر البداية والنهاية حـ ٤ مجلد ٢ ص ٢٦٩ .

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (١) . وقد أرسل رسول الله هذه الرسالة مع حاطب بن أبي بلتعة . فأكرمه المقوقس وأحسن نزله وسرحه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم وأما الأخرى فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن قيس العبدى (٢) ثم يتحدث حاطب عن هذه المهمة السامية فيقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلني في منزلته وأقمت عنده ثم بعث إلى وقد جمع بطارقته وقال إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني قال قلت هلم (٣) قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟

قلت بلى هو رسول الله قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال فقلت عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟

قال بلى قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون قد دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي أنت حكيم قد جاء من عند حكيم. الخ الرواية (٤).

ما يستفاد من ذلك :

يستفاد من ذلك أمور أهمها :

(١) أن حاطبا رضى الله عنه كان داعية فاهما لدينه لبقا فطنا حيث

(١) أنظر السيرة الحلبية للعلامة على بن برهان الدين الحلبى حـ ٣ ص ٣٧١ .

(٢) انظر البداية والنهاية حـ ٤ ص ٢٧١ .

(٣) وهذا يدل على مدى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينه ووعيه لما يقول ، وفي نفس الوقت يدل على حسن اختيار رسول الله لمن كان يرسلهم، وهذا مايجب أن يكون عليه كل داعية يبعث إلى أي بلد لنشر الدعوة .

(٤) انظر البداية حـ ٤ ص ٢٧١ .

أجاب عن أسئلة المقوقس بإجابات حكيمة ومنطقية ، جعل المقوقس يسلم بكلامه ، وفي هذا درس عظيم للدعاة .

(٢) حسن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لمن كان يرسلهم للدعوة وحمل كتبه ، وهذا درس عظيم حيث يجب أن يختاره بكل دقة وعناية وخاصة من يبعثون إلى الخارج لنشر الدين .

(٣) في هذه الرواية نرى وكما هو ثابت أن المقوقس قد أقر واعترف بنبوة عيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله .

وهذا عكس ما يراه ويزعمه بعض النصارى .

(٤) أيضا فإن المقوقس قد أقر أن عيسى لم يصلب بل رفعه الله إليه حيث لم ينكر ما قاله حاطب في هذا ، وهذا بخلاف مايزعمه بعض النصارى

(٥) المقوقس وإن كان لم يسلم فإن ذلك لم يكن عن عدم اقتناع بالإسلام بل آثر ملكه .

٤ - وقد بعث صلى الله عليه وسلم كتبا أخرى إلى الملوك والأمراء ، وفيها ما كتبه إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه إلى الإسلام وأرسل مع العلاء بن الحضرمي . وإلى ملكي عمان (١) يدعوهما إلى الإسلام ، وإلى ملك اليمامة هوذة بن علي (٢) وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني (٣) وكان أميرا لدمشق من قبل هرقل أرسل إلى هؤلاء وغيرهم لهدف واحد وهو الدخول في الإسلام وألا يكونوا عائقا بين أممهم وبين الإسلام ، فاستجاب من هؤلاء من هداه الله وكفر من أضله الله وختم على قلبه وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

(١) هما جيفر وعبد ابني الجلندى وبعث هذا الكتاب مع عمرو بن العاص .

(٢) وقد بعث صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب مع سليط بن عمرو العامري فأكرم هوذة وفادته .

(٣) وقد بعثه مع شجاع بن وهب .

ثامنا : ومن هديه صلى الله عليه وسلم
إرساله الدعاة إلى البلاد لنشر الإسلام

كان من هديه صلوات الله وسلامه عليه إرساله الدعاة إلى مختلف الأقطار لينشروا الإسلام ويعلموا الناس قواعد دينهم فكانوا معالم يهتدى الناس بهم وكانوا أسوة وقدوة حسنة ، دعوا الناس بحالهم قبل فعالهم .

وهذه طريقة فى الدعوة صادقة ومؤثرة إلى حد بعيد .

ومن هؤلاء الذين شرفوا بهذه المهمة لنشر الدعوة : مصعب بن عمير (١) وأبو موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل (٢) وعلى بن أبى طالب وخالد بن الوليد وابن أبى أمية المخزومى وجرير بن عبد الله البجلى وغيرهم كثير .

والملاحظ فى هؤلاء الدعاة أنهم كانوا هداة مهتدين ومقتدين بإمامهم صلى الله عليه وسلم إستجاب الناس لهم وأعجبوا بسيرتهم وأخلاقهم فدخلوا فى الإسلام عن إقتناع واطمئنان لأنهم وجدوا دعاة صادقين رأوا الدعوة حية فى كيانهم يقولون لهم ما يفعلونه .

كان هؤلاء الدعاة الذين أرسلهم صلى الله عليه وسلم يعملون وهذا كما ذكرت فى رأى من أعظم وأهم وسائل تبليغ الدعوة لأنه من المحال أن يحصل فى نفس المدعو ما ليس بموجود من الداعى فإذا لم يكن الداعى إلا ذا قول مجرد من العمل لم يكن نصيب المدعو منه إلا القول . ولأنه من المحال

---

(١) وقد أرسله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يعلم أهلها ويفقههم فى دينهم .

(٢) وقد أرسلهما صلى الله عليه وسلم إلى اليمن داعيين إلى الإسلام فأسلم عامة أهلها من غير قتال ثم أرسل إليهم بعد ذلك على بن أبى طالب .

أيضا أن يعوج الداعى ويستقيم المدعو ومن أروع ما قاله الإمام الغزالى فيما كتبه إلى أبى حامد أحمد بن سلامة بالموصل « أما الوعظ فلست أرى نفسى أهلا له ، لأن الوعظ زكاة نصابه الألفاظ ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد القدر كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ »(١) .

وللدعاة جميعاً الأسوة برسولهم صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال فقد لا يأمر بأمر ولا ينهى عن شىء إلا بعد أن يأتمر به وينتهى عنه ، وهو المتأمل فى حديثه الشريف تحذيرا لهؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم وإلى هؤلاء الذين يدعون بألسنتهم ولا يفعلون مايقولونه ، يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فيتدلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يافلان ماشأنك ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه ، قال (يعنى أسامة بن زيد) يقول يعنى النبى صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى بأقوام تعرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون »(٢) .

وهو القائل أيضاً فيما رواه الطبرانى عن جندب بن عبد الله الأزدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه »(٣) .

---

(١) هداية المرشدين ص ٩١ .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، ورواه بن أبى الدنيا وابن حبان والبيهقى من حديث أنس وزاد البيهقى وابن أبى الدنيا فى رواية لهما « ويقرءون كتاب الله ولا يعملوا به » .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن .

ومن أروع ما قيل فى هذا المعنى من الشعر ما قاله أبو العتاهية :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى
وريح الخطايا من ثنـاياك تسطع
ما أقبح التزهيد من واعظ
يزهـد النـاس ولا يزهـد (١)

* * *

وأيضا ما قاله أحد الحكماء :

وبحت غـيرك بالعمى فأفدته
بصرا وأنت محسن لعماكا
كفتيلة المصباح تحرق نفسها
وتنـير موقدها وأنت كذاكا

ولقد أحسن من قال أيضا فى هذا المذهب :

لا تنـه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهـا عن غيها
فإذا انتهت عنـه فأنت حكيم
فهنـاك تعذر إن وعظت ويقتدى
بالقول منـك ويقبـل التعليم

* * *

(١) انظر جامع بيان العلم وفضـله لابن عبد البر جـ ١ ص ١٩٤ ، دار الكتب الإسلامية ط ٢ سنة ١٩٨٢ م .

وما أجمل ما قاله أبو العتاهية :

يا ذا الذى يقرأ فى كتبه ما أمر الله ولا يعمل
قد بين الرحمن وقت الذى يأمر بالحق ولا يفعـل
من كان لا تشبه أفعاله أقواله فصمته أجمـل (١)

* * *

وهكذا فعلى الدعاة أن يقتدوا بإمامهم وبمن أرسلهم صلى الله عليه وسلم إلى الأقطار للدعوة .

عليهم أن يقتدوا بهم فى عملهم بعلمهم حتى يكونوا قدوة حسنة وكالشمس تضىء لغيرها فى نفسها مضيئة وكالمسك يطيب غيره وهو طيب .

ولعل سائلا يسأل لم كان العمل بالعلم من أهم وسائل نشر الدعوة ؟

أقول : كما قال الإمام الغزالى فى الإحياء وهو أن العلم يدرك بالبصـائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب البصائر أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للنـاس لا تتنـاولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على مانهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النفس من الطين والظل من العود فكيف يتنفس الطين بما لانفسمه فيه ومتى استوى الظل والعود أعود ولذلك قيل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليـك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم »(٢) ولذلك

(١) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ١٩٥ .
(٢) البقرة / ٤٤

كان وزر العالم فى صاحبيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به .

ومن سر سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . ولذلك قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك . فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه » (١) .

وهكذا تفعل القدوة الحسنة دورها وهكذا كان دعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسلهم كانوا كالكتاب المفتوح يرى الناس فيه مفاهيم الإسلام ومعانيه السامية .

وإلى هنا ونكتفى بهذا القدر من هديه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة .. وبالله التوفيق ؟

(١) إحياء علوم الدين : للامام أبى حامد الغزالى حـ١ ص٥٨ـ دار المعرفة بيروت.

توصيات

وفى نهاية هذا البحث فهناك عدة توصيات يتعلق بعضها بالدعاة والبعض الآخر بالقائمين على أمر الدعوة وإعداد الدعاة أرجو من الله عز وجل أن تتحق ...

أولا : فيما يتعلق بالدعاه فإن عليهم وقد شرفهم الله بهذه المهمة :

(١) أن يهتدوا بهدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تبليغه لدعوة ربه . وأن يقتدوا به فهو الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .

(٢) العلم الكامل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدراية الفنية التى تمكنهم من استعمال هذا العلم فى نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٤) العمل بالعلم وعدم الفصل بين القول والعمل ، وأن يجمع الدعاة إلى الدعوة بالقول الدعوة بالعمل ، وأن يحرص الدعاة أشد الحرص على ألا يراهم الناس على أمر يخالف ولا يدعونهم إليه .

هذا بعض ما أرجوه من الدعاة .

ثانيا : فيما يتعلق بالقائمين على أمر الدعاة والدعوة فإن عليهم تحقيق ما يلى:

(١) العمل على إيجاد الداعية المعد إعدادا علميا وخلقيا .

(٢) أن يكفلوا للدعاة مستوى ماديا يساعدهم على الظهور فى المجتمع بمظهر راق يتناسب وعظمة ما يدعون إليه .

(٣) العمل على توفير أسباب نجاح الدعاة فى دعوتهم لكى يكونوا قادرين على شرح الدعوة الإسلامية بطريقة سهلة وعصرية فى جميع المحافل دولية كانت أم محلية .

(٤) اختيار الدعاة الذين سيكلفون بالدعوة فى الخارج بدقة وإعدادهم إعدادا علمياً سليما حتى يكونوا واجهة حسنة للإسلام .

هذا بعض ما يرجوه من القائمين على أمر الدعوة والدعاة .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لتحقيق ذلك .

والحمد لله رب العالمين . وبه التوفيق ؟